من أزمة فهم اللسانيات إلى أزمة فهم التراث

قراءة في النقد اللساني عند عبد الرحمن الحاج صالح

From the crisis of understanding linguistics to the crisis of understanding heritage

Reading in Linguistic Criticism of Abdrrahmane Hadj Salah

De la crise de la compréhension linguistique à la crise de la compréhension du patrimoine

Lecture en critique linguistique d'Abd rrahmane -Hadj Salah

محمد صاري
جامعة محمد الشريف مساعدية
سوق أهراس

الملخص:

تهدف الورقة البحثية إلى الكشف عن طبيعة الحس النقدي في الخطاب اللساني عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، وما تتفرَّد به قراءته الناقدة من حمولة علمية ومعرفية متميزة، إذ تتخللها إشارات ذكية إلى العلامات الفارقة بين الفكر الأصيل والمستنسخ، تعكس جدة القديم، وقدم الجديد، وتجدد الاعتبار للمنجز اللساني التراثي، وتُثْبت الكفاية النظرية والمنهجية للنحاة القدامى، الذين كانوا لسانيين قبل أن تنشأ اللسانيات. وتتجلى الروح النقدية، والتفتح الذهني في قراءته من خلال عديد النماذج التي جمعت بين مهارتي الفهم والتفسير وبين آلية المقارنة، لا يسع المقام لذكرها تفصيلا، ولكن سنكشف عن ملامحها من خلال أمثلة

عديدة في صميم "النقد اللساني"، ناقش من خلالها قضايا لغوية متنوعة. وسيتم استقراؤها في ضوء مؤلفاته، وعلى الخصوص كتابه الأخير "البنى النحوية العربية"، الذي نجده يتناص عن قصد مع كتاب أحدث ثورة في التفكير اللساني المعاصر هو "البنى النحوية" لتشومسكي.

الكلمات المفتاحية:.اللسانيات، التراث العربي، اللغة، الحاج صالح، تشومسكي.

Abstract:

The research paper aims to reveal the nature of critical sense in linguistic discourse of Dr. Abderrahman Hadj - Salah, and the uniqueness of his critical reading loaded with distinct scientific knowledge, interspersed with smart indications to the distinguishing marks between the original and copied thought, reflecting the newness in old thoughts, and the obsolescence of new ones, and thus, confirming the theoretical and methodological competence of the ancient grammarians, who were linguists before linguistics arose. The spirit of criticism and intellectual openness in Dr. Abderrahman Hadj - Salah analysis is reflected in the many models that have combined the skills of understanding and interpreting with the mechanism of comparison, which cannot be described in detail, but we will reveal their features through various examples at the core of "linguistic criticism" in which he discussed various linguistic issues that will be analyzed in the light of his writings, and in particular his latest

book "Arabic syntactic structures", which according to us deliberately intertextes with the book which produces revolution in contemporary linguistic thinking "syntactic structures" of Chomsky.

Key words: Linguistics, Arab heritage, language, Hadj Salah, Chomsky.

Résumé:

Le document de recherche vise à révéler la nature du sens critique dans le discours linguistique du Dr. Abderrahma Hadj - Salah et l'unicité de sa lecture critique chargée de connaissances scientifiques distinctes, entrecoupées d'indications intelligentes aux marques distinctives entre l'original et le calquage, reflétant la nouveauté dans les pensées anciennes, et l'obsolescence des nouvelles, confirmant ainsi la compétence théorique et méthodologique des anciens grammairiens, qui étaient linguistes avant l'apparition de la linguistique. L'esprit de critique et l'ouverture intellectuelle dans l'analyse du Dr Abderrahman Hadj - Salah se reflètent dans les nombreux modèles qui ont combiné les compétences de compréhension et d'interprétation avec le mécanisme de comparaison, qui ne peut être décrit en détail, mais nous révélerons ses caractéristiques à travers divers exemples au cœur de la «critique linguistique» dans laquelle il a discuté de diverses questions linguistiques qui seront analysées à la

lumière de ses écrits, et en particulier son dernier livre «structures syntaxique arabe», qui selon nous, intertexte délibérément avec le livre qui a produit une révolution dans la pensée linguistique contemporaine « structures syntaxique » de Chomsky.

Mots clés : Linguistique, patrimoine arabe, langue, Hadj Salah, Chomsky.

1. مقدمـــــة:

سُئل الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في ندوة علمية عرَّف من خلالها بمشروعه في القراءة التجديدية للتراث اللغوي العربي: "هل أنتم من المحافظين؟" فأجاب بصريح العبارة: "لست محافظا، ولا مجددا، ولكن أبحث عن المفيد، اكتشفنا في القديم شيئا عظيما لم نجده في الحديث، ولو اكتشفناه لأخذنا به"[1].

وللكشف عن المفيد، ولإثبات جدة القديم وأصالته، وقدم الجديد؛ وتحديدا للعلامات الفارقة بين الفكرين: التراثي والمستحدث، اتجه الحاج صالح إلى إعادة قراءة التراث الأصيل[2] والبحث عن خباياه، لا حُباً في القديم لذاته، ولا محافظة من أجل المحافظة، ولكن قناعة بقيمة المنجز، ووعياً بالطفرة التلقائية المفاجئة التي أحدثها "سيبويه" وشيوخه وتلاميذه

1 . محمد صاري، محاولات تيسير تعليم النحو قديما وحديثا، دراسة في ضوء علم تدريس اللغات، أطروحة دكتوراه مخطوطة، إشراف الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، نوقشت بجامعة عنابة، ص140، انظر الحاشية.

2 . وفكرة التقسيم النحوي والبلاغي إلى مناطق أو قطاعات متمايزة عند الدكتور الحاج صالح، الاعتبار فيها بالنظر إلى الأصالة والإبداع، لا بالنظر إلى قطاع مقبول يستحق الدرس وآخر مردود لا يستحق الدرس، فكل التراث في الواقع حقل للفحص، وقابل للدراسة ولكن هناك فرقا بين دراسة النسخة الأصلية، ودراسة نسخة شارحة أو مصورة أو محرفة. وفي هذا السياق يرى الدكتور الحاج صالح أن أكثر المفاهيم اللغوية لم يتغير لفظها عند المتأخرين، وإنما تغير محتواها، ومن ذلك على سبيل المثال مصطلح: "لفظة" و"كلمة" و"قياس" و"باب" و"حدّ" و"مثال" و"بناء" و"أصل" و"كلام" و"لغة"...إلخ . انظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر 2007، ص 178، 183.

في تاريخ علوم اللسان؛ فقد أمضى حياته العلمية باحثا ومدرسا، يُعرِّف من خلال مشروع قراءة التراث معشر الباحثين العرب والغربيين في علوم اللسان بخصائص لسانيات اللغة العربية، وما تتفرد به من مضامين نوعية، ويثبت في المناسبات العلمية المختلفة الحلقة المفقودة التي تجاهلها بعض الغربيين، الذين أرخوا للفكر اللساني البشري[3].

ومن ينظر في ناتج القراءة لديه، يكتشف ناقدا مبدعا لا ناقلا ومكررا، وسنسعى لتوضيح ذلك من خلال هذه الورقة البحثية التي تهدف إلى دراسة البعد النقدي اللساني عند الحاج صالح، وما يتميز به من قدرة على فهم واستنباط للمعقول من المنقول، والتمييز بين الوجوه والفروق. فأين يتجلى الحس النقدي في كتاباته؟ وكيف يتمظهر؟ وما طبيعته ومميزاته؟ وما وجه الأصالة فيه...؟ لاسيما في كتابه الأخير "البنى النحوية العربية"، الذي نجد عنوانه يتناص ربما عن قصد مع كتاب أحدث ثورة في التفكير اللساني المعاصر هو "البنى النحوية" لتشومسكي.

2 – أزمة فهم اللسانيات:

أمام موضة الحداثة والانفتاح على الآخر، انزلق بعض رواد الفكر اللغوي الحديث، الذين اطلعوا على اللسانيات الغربية، ونقلوها إلى القارئ العربي، إما في مَطَبِّ القطيعة مع التراث (كِي شَافْ قَمْحْ الناس رْمَى قَمْحَاتُو)، وإما في مطب الإسقاط الذي حاول أصحابه عَوْرَبَة اللسانيات[4]، وأَسْلَمَت مفاهيم وتصورات لا يمكن أن تنشأ أصلا ومنطقا إلا في زماننا الراهن، والحجة "ما ترك الأول للآخر شيئا". فقد راح بعضهم يعرضها (أي اللسانيات) وكأنها النقيض للنحو العربي، وفي بعض الأحيان عصا سحرية قادرة على حل جميع مشكلات اللغة العربية. ومنهم من قدمها في

3 . قال جورج مونان في كتابه مفاتيح الألسنية: " إن تاريخ نشأة اللسانيات يحدد بحسب نظرة الباحث إليها؛ فيمكن أن يقال إنها نشأت في القرن 5 ق.م [إشارة إلى الدراسات الهندية القديمة مع بانيني]، أو مع بوب Bopp سنة 1816م، أو مع سوسور سنة 1916م، أو مع تروبتسكوى سنة 1926م، أو مع تشومسكي سنة 1956م ".انظر:

G. Mounin : Clefs pour la linguistique, Paris,

4 . Seghers, 1968, p 19.

صورة توهم أنها علم تجريبي، وكل مقاربة للغة خارج هذا الإطار تُعَدُّ في زعمهم من قبيل الدراسة التقليدية أو الانطباعية[5].

لا نعثر في أبحاث الحاج صالح ودراساته على عنوان مستقل يناقش من خلاله أزمة اللسانيات العربية الحديثة كما هو الحال عند بعض اللسانيين العرب[6]، لكن القارئ المتتبع لبحوثه ومؤلفاته يستشف وعيا واضحا بواقع البحث اللساني العربي وسلبياته، يتبين ذلك من خلال التحليل النقدي الذي قدَّم به لكتابه "بحوث ودراسات في علوم اللسان"، وحديثه عن "الأصالة والبحوث اللغوية" الذي ورد في مقدمة كتابه "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"[7]. ومن مظاهر الواقع السلبي لأزمة اللسانيات إشارته إلى أن كثيرا ممن كتب أو يكتب في اللسانيات ليسوا من فرسان الميدان[8]، فبعضهم يمرق ملاحظات مبعثرة من مؤلفات اللسانيات الغربية؛ يَدْرُسها اليوم، ثم يتجرأ في اليوم الموالي على نقد كتب الأئمة والفطاحل من النحاة والبلاغيين كما يُنتقد أي كتاب مدرسي لتعليم الصبيان، يفعل هذا وهو قليل المؤونة، جاهل بالتراث، غير مدرك لمقاصد القدماء، مثل نبذهم لمفهوم العامل بحجة أنه لا يوجد في اللسانيات البنيوية[9]. وبعضهم يعرض اللسانيات الغربية على المثقف العربي وكأنها حقائق أو مسلمات، فلا يُنزلها من مستوى التقديس الأعمى إلى مستوى النظر والتمحيص[10]، ولا يتنبه إلى أخطائها النظرية والمنهجية، بل يتجاهل ما يُقدمه الغربيون أنفسهم من نقد. ومنهم من لا يعرف من اللسانيات إلا آثارها البالية المتجاوَزَة، التي مازال البعض يقدمها للقارئ العربي ولا يدرك الانقلابات الثورية التي حدثت

5 . حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، مطابع الدار العربية للعلوم، ط1، بيروت 2009، ص 318.

6 . محمد صاري، قراءة في الكتابة اللسانية العربية الحديثة، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد 4، العدد4، جامعة مؤتة، وزارة التعليم العالي، الأردن 2008، ص 199 – 200.

7 . مثل "عقبات البحث اللساني العربي" لعبد السلام المسدي، و"أزمة اللسانيات واللسانيين في الوطن العربي" لمازن الوعر، "واللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية" لمصطفى غلفان، و"اللسانيات العربية المعاصرة، حصاد الخمسين" لسعد مصلوح...إلخ.

8 . عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر2007.

9 . عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص9.

10 . عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1، ص 21.

فيها[11]، وبعضهم يتعصب للمدرسة أو المذهب أو النظرية، ويتبنى أفكارها، فينظر في أبواب العلم وموضوعاته بنظارات أحادية اللون، صُنعت في معامل البنيويين أو الوظيفيين أو التوليديين...ويتجاهل الاتجاهات الأخرى ويصادر أفكارها. والأخطر من ذلك أن يستخرج منها ما يؤيد نظريته ويسكت عمّا يكذبها ويدحضها.[12] ويدخل في هذا التوجه حديث الدكتور الحاج صالح عن أزمة فهم اللسانيات، فقد يُظن أن حداثة مفاهيمها تفرض صحتها، ولا يُعتد بالمفاهيم العلمية في ذاتها، ومن حيث هي[13]. ومنهم من لا يميز بين المناهج التحليلية كطرق للكشف لا أداة للبرهنة، وبين موضوع تحليلها: وهو الصورة أو البنية اللسانية ومجاريها في عملية التخاطب، أي اللسان في ذاته، الذي يتخذه العلماء موضوعا للدراسة[14].

وفي حوار لساني يجيب الحاج صالح عن سؤال المستجوِب بسؤال فيقول: "لماذا تريد أن يكون دورها [أي اللسانيات] أهم من أخواتها في العلوم الإنسانية؟! ثم قد تكون اللسانيات الغربية عائقا، ونعني بذلك لا المناهج الحديثة التي تسير عليها فهي جيدة مادامت قابلة للتطور، بل نعني النظريات الكثيرة والمتضاربة، وتصبح مثل المذاهب الدينية تُبنى على الإيمان والاعتقاد أكثر مما تبنى على التجربة والاستدلال"[15]، ولذا "يجب أن لا نعطي للسانيات أكثر مما تستحقه من الأهمية"[16]. ومن مظاهر الواقع اللساني السلبي أيضا مشكلة الخلط بين المصطلحات الأصيلة ومصطلحات النحاة المتأخرين، وعدم توفر المصطلحات العربية لتأدية المعاني العلمية رغم كل ما تبذله المجامع اللغوية من مجهودات لسد الفراغ. ولعل أبرز مظهر على أزمة فهم اللسانيات في الكتابة العربية غياب اللسانيين، والحضور المكثف للمؤرخين (مؤرخي اللسانيات)؛ فبعضهم يجهل أبسط مبادئ السيميائية والتداولية واللسانيات النصية...ومع ذلك يؤلفون فيها

11 . عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص7.
12 . المرجع نفسه، ص9.
13 . عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص16.
14 . عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 20.
15 . المرجع نفسه، ص31، 32، 44.
16 . حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص93.

الكتب، ويكتبون عنها المقالات كما يذهب إلى ذلك عبد القادر الفاسي الفهري[17].

3 – أزمة فهم التراث:

باسم اللسانيات التي كانت أقوى إغراءً، وأفتن للنفس من النحو القديم، أو قل: باسم علمية اللسانيات التي تدثر بها القوم ! شكل ناقدو التراث من الرواد اتجاها ضاغطا على التوجه العام للبحث اللساني العربي لدى الأجيال اللاحقة، وزعموا أن بالنحو العربي عيوبا ونقائص تجعل إصلاحه وإعادة النظر فيه ضرورة ملحة. وذهبوا في هذا النقد مذاهب شتى، وتباينوا في تشخيص العيوب وطرق الإصلاح تباينا يدفع إلى التساؤل عن قيمة الأسس التي انطلقوا منها، وعن مدى سلامة الأحكام التي وصلوا إليها؛ فكل شيء وُجد عند النحاة الأولين مستعار في نظرهم[18]، وكل أصل من أصول النحو[19]، أو مسألة من مسائله، أو باب من أبوابه، لا يفيد مباشرة في الجانب الإجرائي ترف لا فائدة منه، ولغو ينبغي تجنبه. واقتنع الجميع أن نظام العوامل هو المسؤول عن ذلك؛ فهو في نظرهم مجموعة من الأحكام المسبقة، والمسلمات الماقبلية التي سُلطت قسرا على الدرس اللغوي التراثي. وافترضوا أن ما عاب به اللّسانيون الغربيون تراثهم اللغوي الإغريقي واللاتيني ينسحب على النحو العربي. وكانت حاجة اللغة العربية، في اعتقادهم، إلى منهج وصفي تماثل حاجة الأنحاء الأوروبية القديمة[20]. ومن أبرز أفكارهم التي أَجَّجَتْ شهوة النقد وحُمَّى الخلاف والحداثة لا التحديث، وشغلت الدارسين حينا من الدهر اعتقادهم أن:

- المدونة اللغوية التي استقريت منها القواعد ناقصة وغير تمثيلية وفيها تحيز كبير.

17 . المرجع نفسه، ص 93.
18 . تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، دار الغرب الإسلامي، الرباط 1987، ص 11 – 17.
19 . حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص 85.
20 . عز الدين مجدوب، المنوال النحوي العربي: قراءة لسانية جديدة، دار محمد علي الحامي، ط1، تونس 1998، ص 13 – 19.

- واللغة النموذجية التي خطب بها الخطباء، وشعر بها الشعراء، ونزل بها القرآن، لم تكن لغة تخاطب للناس في حياتهم العامة، ولم تكن سليقة يتكلمونها دون شعور بخصائصها[21].

- والنحو العربي معياري وفلسفي ويوناني النشأة والمنبت، والعقل العربي في تلك المرحلة غير مؤهل لمثل هذا النمط من التفكير والصياغة التجريدية (نظرية التأثر المحتوم)[22].

- والنحاة العرب درسوا لهجات عربية متعددة ومتباينة ليستخرجوا منها نظاما نحويا واحدا، والمفروض أن تكون هناك أنحاء متعددة بعدد اللهجات التي درسوها[23].

- والإعراب قصة نسج النحاة خيوطها بمهارة وإحكام[24].

- وفكرة العامل خرافة لا يقول بها عاقل وليست النظرية التي نحتاج إليها في الدرس الحديث[25].

- والنحاة العرب اصطنعوا أمثلة وتراكيب افتراضية كثيرة لم تكن موجودة في اللغة، ولم تُسمع عن العرب، وقد أوردوها لتزكية أصولهم المنطقية[26].

- واللغويون لم يسلكوا طريق عبد القاهر، ولم يأخذوا بمنهجه لضعف عقولهم، وفتنتهم بنحو سيبويه[27].

- وأُولَى العقبات في وجه التجديد في الدرس اللساني العربي هي استعمال المحدثين لمعطيات القدماء، واشتغالهم على اللغة العربية الفصيحة...ومعطيات القدماء معطيات ناقصة، بل إنها زائفة وغير لائقة في

21 . ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال: إبراهيم أنيس، وعبد الرحمن أيوب، وكمال بشر، وأنيس فريحة، ومهدي المخزومي، وشوقي ضيف، وتمام حسان، ومحمد عيد، وعبد القادر الفاسي الفهري... إلخ.

22 . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب1994، ص14– 15.

23 . إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1995، ص43.

24 . عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، دار راجعي للنشر، ص 39 – 78. وكذلك كتابه، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص19.

25 . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 14.

26 . إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة1978، ص198.

27 . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص189.

كثير من الأحيان...!![28] وغير ذلك من الأحكام والنتائج، التي تدَّعي العلمية (ظاهرها بناء وباطنها هدم)[29] ، وتُظهر التراث اللغوي العربي وكأنه النقيض للسانيات الحديثة.

وفي الوقت الذي بدأ فيه الطرح اللساني لدى الرواد العرب محاكمة للفكر اللساني التراثي، ونقدا ثوريا للمفاهيم والتصورات التي تأسست عليها علوم اللسان العربي لا سيما النحو، وأمام هذه الموجة الصاعدة من النقد اللساني للقديم (وكأن الإناء وصلنا فارغا!)، يظهر في جيل الرواد لساني مخضرم: تراثي ليس كبقية التراثيين، وحداثي ليس كبقية الحداثيين[30]، له إحاطة شاملة وتكوين عميق في مناهج القدماء والمحدثين، ليمارس إن صح التعبير، إعادة إنتاج التراث بشكل أشاع فيه قوة حببته إلى العقول والنفوس؛ هذا اللساني هو الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، الذي ظل يحث معشر الباحثين العرب في المناسبات العلمية المختلفة على القيمة المتجددة "للكتاب" أو "قرآن النحو" كما أُطلق عليه. فقد أظهرت أبحاثه أن جهود علماء العرب على غير ما كان البعض منا يتصور ويتوقع[31]؛ وكشفت أن التراث اللغوي العربي تضمن مفاهيم وتصورات لسانية لا يستهان بها، وسابقة لأوانها، يتجلى لنا ذلك من خلال بعض العبارات التي تواترت لفظا ومعنى في كتاباته وحديثه، منها قوله: "وقد نظرنا في كتاب سيبويه وأطلنا النظر، فبعد مدة طويلة تبين لنا أن المفاهيم التي يتضمنها هذا الكتاب تكوّن في الحقيقة نظرية دقيقة لم نعثر على مثلها في أي نظرية لغوية أخرى سواء كانت قديمة أم حديثة. وأيقنا أن هذه المفاهيم جديرة جدا بأن يُكشف عنها وعن حقيقتها"[32]. وقال أيضا: "وقد أيقنَّا أن الدراسات اللغوية لن يكون لها شأن إذا لم يرجع أصحابها إلى الخليل بن أحمد ويحاولوا أن يتفهموا ما قصده هذا الرجل العبقري بتعليلاته لظاهرة اللغة، وذلك بالرجوع أولا إلى

28 . عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية، منشورات عويدات، بيروت 1986، ص52.
29 . إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1959، ص 18 – 21.
30 . عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية، ص51 – 52.
31 . حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة، أسئلة اللسانيات، ص327.
32 . من خلال أعمال الحاج صالح وأبحاثه المتنوعة تكتشف شخصية علمية تراثية متحكمة في مناهج القدماء، وأخرى حداثية لها إحاطة كافية بالنماذج النظرية اللسانية الحديثة تركيبا وتصنيفا.

كتاب سيبويه...وثانيا إلى من أدرك مقاصده حق الإدراك مثل ابن السراج وأبي علي الفارسي، وابن جني. ويا حبذا لو درسوا في نفس الوقت نظريات علم اللسان الحديث، لأنه فيها من المعاني والمفاهيم، لو تدبروها لوجدوها شديدة الشبه بما يجدونه في الكتب القديمة، وربما ساعدتهم على إدراك ما لا يزال غامضا لديهم من نظريات النحو العربي"[33]. فالحاج صالح لا يؤمن بالقيمة المتجددة لكتاب سيبويه وشراحه من الجيل الأول فحسب، بل يتوقع أن الاطلاع على علم اللسان الحديث قد يساعد على إدراك المسائل العويصة والمغلقة في النظرية اللغوية التراثية.

ومن خلال هذه التصريحات، وبعد حملها على غيرها من الأفكار السابقة التي وردت في الخطاب اللساني لدى الرواد الذين كانوا سببا في نقل اللسانيات وتعريف القارئ العربي بها (وقد أطلق عليهم الحاج صالح أحيانا "زملاؤنا"، وأحيانا أخرى "إخواننا")[34]، يتبين الفرق الواضح بين الخطابات الثورية المغالطة التي سعت إلى مصادرة التراث أو مصادرة جزء منه، وبين الحوار العلمي الحقيقي الذي دخل فيه الحاج صالح مع الفكر اللساني الحديث ليحدد موقع التراث منه، وذلك من خلال قراءة ناقدة لأزمة فهم اللسانيات، وأزمة فهم التراث[35].

4 – نماذج من النقد اللساني:

للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في مشروع قراءة التراث، وتقويم المنجز اللساني الغربي روح علمية لا تقنع بالشرح والوصف، وتكمن أهمية مؤلفاته وميزة أبحاثه عن غيرها من الكتابات اللسانية العربية الحديثة في ملازمتها للنقد البناء والتقويم الموضوعي للقديم والحديث، والعلم كما نعلم "مدين في وجوده أو في تقدمه إلى أشخاص عرفوا كيف يجددون

33 . محمد الشاوش، تركيبية النص، العلاقات النسقية بين الجمل، رسالة دكتوراه دولة مخطوطة، إشراف د. عبد القادر المهيري (انظر خاتمة البحث)، وقد تم طبعها تحت عنوان: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص.

34 . عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر2007، ص81.

35 . عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر 2007، ص10.

طرق مشاهدتهم، ومعاينتهم، وتساؤلهم، وتأملهم، وتنظيمهم، واكتشافهم".[36] فكل مقولة لسانية لا يتم إقرارها أو رفضها إلا بعد إنزالها إلى مستوى النظر والتمحيص[37]، وحملها على غيرها من المفاهيم؛ و"المقارنة بين هذه المفاهيم كما تصورها هؤلاء العلماء المبدعون، وما جاء بدلها فيما بعد من مفاهيم غير علمية، والمقارنة أيضا بينها وبين ما نجده اليوم من مفاهيم علمية في العلوم اللسانية الحديثة وفي المنطق العلمي... لأن أوجه الشبه قد تخدع الباحث أحيانا، كما أن الفوارق الكثيرة قد تضل أحيانا الباحثين فلا يهتدون إلى الشبه العميق الذي لا يتضح إلا بالطرق التحليلية الدقيقة كالطرق المنطقية الرياضية"[38]. ومن ذلك مثلا تمييزه الواضح بين الاستدلال الأرسطي القائم على مفهوم الاشتمال (اندراج شيء في شيء آخر)، والاستدلال العربي المبني على حمل شيء على شيء وإجرائه عليه. ويشغل النقد اللساني حيزا كبيرا في أبحاثه، وسنكشف عن شيء من ملامحه من خلال نماذج مختارة من القضايا المتنوعة التي ناقشها.

4 – 1 - مفهوم الأصالة:

من مظاهر النقد اللساني عنده تحديده لمفهومي الأصيل والأصالة بعد رفضه أن تكون اللفظة الأخيرة مقابلا عكسيا لمفهومي الحداثة أو المعاصرة كما هو الشأن عند الكثير من المثقفين، فالأصيل[39] "في الواقع هو المبدع الذي يأتي بشيء جديد لم يُسبق إليه مهما كان الزمان الذي يعيش فيه"، وبشكل آخر "هو الذي لا يكون نسخة لغيره". وأما الأصالة كما ورد في تصريحه: "فإننا لا نشاطر نظرة الكثير من المثقفين عندما يقابلون هذا المفهوم بالحداثة أو المعاصرة، فإن الأصالة تقابل في الحقيقة التقليد أيا كان

36 . المرجع نفسه، ص 19، 32.

37 . يقر الدكتور حسن خميس الملخ : أن الفكر اللساني العربي في مراحله الأولى لم يدخل في حوار علمي حقيقي مع الفكر اللساني الحديث ليحدد موقعه منه ويستثني من هذا الحكم أعمال كل من الحاج صالح وعبد السلام المسدي. انظر حافظ اسماعيلي علوي، وليد العناني، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص328.

38 . موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تر: بوزيد صحراوي وآخرين، دار القصبة، الجزائر 2004، ص42.

39 . عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر 2007، ص7.

المقلَّد". ويقصد بالتقليد "اتباع الإنسان لغيره فيما يقول أو يفعل معتقدا الحقيقة فيه من غير نظر وتأمل في الدليل"، كما حدث عند ناقدي التراث الذين نبذ كثير منهم المفاهيم العربية بعد تأثرهم بالطروحات التي خلفتها المحاكمة اللسانية للفكر اللغوي القديم لدى جيل الرواد. وبعد نقده للذين استبدلوا تقليدا بتقليد؛ فعابوا تقليد القدماء واستبدلوه بتقليد الغربيين يخرج بنتيجة مفادها: أن الأصالة في زماننا هذا، وانطلاقا مما سبق ذكره، هي الامتناع عن تقليد الغربيين خاصة[40]. إن ما سعى الحاج صالح لإظهاره من خلال هذا التناول لمفهومي الأصيل والأصالة هو التنبيه على ضرورة التفتح الذهني لدى المقلِّد، بأن يكون دائما على استعداد لإعادة النظر والتمحيص، وعدم الاطمئنان مقدما وقبل النظر إلى كل ما يصدر من الغير حتى يقوم الدليل الذي يحمل الإنسان، بل يجبره على تقبل أقوال غيره[41]، فقد تَحْجُب الأفكار المسبقة الرؤية، وتخفي بعض الأبعاد الجديدة للموضوع قيد الدراسة. والعلم، كما يتصور(Popper)، يتطور وفق منوال تتعاقب فيه عمليات الدحض تعاقبا لا محدودا[42].

4 – 2 – نظرية المقطع:

وفي قراءة ناقدة للصوتيات العربية يرى عبد الرحمن الحاج صالح أن التصور العربي بُني على رؤية حركية لفظية طبيعية[43]، تخالف النظرة اليونانية من زوايا متعددة، وربما تلتقي معها فيما هو راجع إلى الحس المبني على المشاهدة والتجربة. فالتصور اليوناني الذي بُني عليه تقسيمهم لأصوات اللغة إلى مصوتات وصوامت، وكان سببا في ظهور مفهوم أو نظرية المقطع هو ما لاحظه نحاتهم من أن بعض الأصوات لا يمكن أن يُنطق بها في الكلام العادي دون أن يرافقها صوت من جنس آخر (إذ لا يقوى الحرف على الانفصال بنفسه بل لا بد له من صُوَيِّت أو جرس يرافقه ويتأدَّى به إلى السمع)، وفي المقابل يَقْدِرُ الناطق بالصوت المرافق أن

40 . عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص81.
41 . المرجع نفسه، ص 11.
42 . المرجع نفسه.
43 . المرجع نفسه، ص 12.

ينطق به منفردا. هذا هو التقسيم الذي توارثه الغربيون جيلا بعد جيل، وبنوا كل تحليلاتهم عليه[44].

وللنحاة العرب القدامى نظرة أخرى في منظور الحاج صالح، تتضح من خلال وصفهم للحركة والسكون اللذين لا يوجد لهما مقابل في الحضارات الأخرى[45]، وكثير من الباحثين العرب والغربيين لا يعرفون بالضبط ما يقصده علماؤنا الأولون من الحرف المتحرك والساكن[46]. وفي تقسيم العرب لأصناف الحروف يلتقي النحاة العرب بتقسيم اليونانيين لأصواتهم إلى صوامت وصوائت، على اعتبار هذا التقسيم ظاهرة عامة الوجود، تنتج في كل اللغات عند تقطيع الصوت الطبيعي في المخارج. ولكن الفارق في النَظْرَتين العربية واليونانية يكمن في أن العرب فرقوا بين الحركة (وهي صوت عندهم) ومدَّتها، فاعتبروا هذه المدَّة حرفا قائما بذاته، بل وحرفا تاما (حرف المد) دون الحركة التي هي ابتداؤها. ولم يجعلوها حرفا واحدا وهو المُصَوِّت الطويل عند اليونان (والصوتيين الغربيين). ويتأسس التقسيم اليوناني للأصوات على: (صوامت + صوائت قصيرة وطويلة)، وفي المقابل يتشكل التصنيف الصوتي العربي من: (حروف صحاح وتسمى "جوامد" + حروف لين ناقصة وتوام). ويطلق على حروف اللين الناقصة أصوات الحركات، وعلى حروف اللين التوام مدَّات الأصوات[47].

---

44 . موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ص 38– 39.

45 . لمزيد من المعلومات حول مفهوم أو نظرية المقطع عند الصوتيين العرب انظر بحث الدكتور الحاج صالح المنشور بالفرنسية:

"La notion de syllabe et la théorie cinetico-impulsionnelle des phonéticiens arabes"

في كتابه: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 1– 25.

46 . عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 175 – 177.

47 . وجود ما يقابل المفهوم العربي للحركة والسكون في علوم اللسان الحديثة، اضطر الحاج صالح إلى إطلاق (Akinesis / Kinesis) عليهما. كما أطلق مصطلح Kinem في مقابل الحركة، ولا يعرف هذا المفهوم في الصوتيات التقليدية عند الغربيين. انظر، عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص81. وكتابه، البنى النحوية العربية، ص 19.

ويلاحظ الحاج صالح أن كثيرا من الباحثين لا يعرفون أن للحركة عند علماء العرب وظيفتين بارزتين في عملية الكلام وإحداث الحروف في المخارج، تنفرد بهما عن بقية الحروف هما: تمكين الناطق من إحداث الحروف (حركة عضوية هوائية) أولا، وتمكينه من الانتقال من موضع أو مخرج حرف إلى موضع أو مخرج حرف آخر في السلسلة الكلامية ثانيا. وبعض المتأخرين وأكثر المحدثين كما يقر الحاج صالح لا يعرفون من الحركة إلا المفهوم السائد الدال على المصوت القصير. والحقيقة أن الحركة كصوت غير الحركة التي تمكِّن من إحداث الحرف ووصله بحرف آخر، فبالحركة (أي الحروف الناقصة، أو أبعاض الحروف كما يسميها القدماء، أو أصوات الحركات بتعبير الحاج صالح) ينبعث الصوت ويتأدَّى، ويُتوصل إلى النطق بالحرف في حين يتعذر ذلك بالسكون، وأما الحرف (الصحاح) فلا يُمَكِّن من إخراج الحرف. وهذا هو السر في تسميتهم الحركة حركة لأنها إطلاق والسكون حبس. وبهذا المفهوم تكون الحركة عملية عضوية هوائية فيزيائية تمكِّن من إخراج الحرف والانتقال منه إلى حرف آخر، فإذا تحرك الحرف اقتضى الخروج منه إلى الذي يليه. والحرف المتحرك لا ينفرد كما لا ينفرد الساكن، بخلاف المقطع القصير فإنه يُمكن في النظرة اليونانية أن ينفصل، وهو ما يفترق فيه التصور العربي، في منظور الحاج صالح، عن التصور اليوناني[48].

وفيما يتعلق بمفهوم المقطع، وهو أصغر المجموعات من العناصر الصوتية التي يمكن أن تنفصل في النطق عمَّا قبلها وعمَّا بعدها، يذهب الحاج صالح إلى أن أهل الأداء يستعملون المصطلح للدلالة على الموضع من الكلام الذي يمكن أن يُوقف عليه، وقد سمَّى العرب Syllabe مقطعا لأنه أقرب لفظ عربي إلى معنى المصطلح اليوناني. وفي الواقع لا يوجد المقطع كما بيَّن عالم الأصوات الفرنسي "روسلو" إلا بين وقفتين، وعليه أنكر كثير من الغربيين أن تكون في الكلام العادي مقاطع، فلا وجود له إلا

48 . عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص14.

بالقوة أي بشرط،[49] وهذا ما أثبته المختصون بالصوتيات التجريبية حيث لاحظوا أن الكلام الطبيعي وتموجاته متصلة بعضها ببعض في تعاقبه بدون أي انقطاع ولا مقاطع تحصل فيه كما يتصور ذلك خطأً اليونانيون ومن تبعهم من العرب والغربيين. ولا يتمثل هذا التعاقب على شكل اقتران أجزاء (عناصر) بأخرى بدون إدراج للحركات المُحْدِثَة لها، بل على شكلٍ اهتزازي وانسيابي مستمر، تكون الحركة سببا مركزيا في حدوثه.[50] ويتعجب الحاج صالح: كيف يجوز لمن لم يدخل قط إلى مخبر صوتي الحديث عن أقوال الصوتيين العرب؟![51]كما يتعجب من الذين لا يزال أكثرهم يبنون النظريات على أساس التصور اليوناني بدون أي تحفظ، وتبعهم في ذلك أغلب الباحثين العرب[52]. هذا هو التصور العربي للدينامية اللفظية، أو قواعد التلفظ في العربية وكثير من اللغات، يمكن تلخيصها في ما يلي:

- للحرف ثلاثة أطوار في حدوثه: وضع العضو في موضعه، ثم ملازمته له، ثم رفعه عنه.
- إحداث الحرف مقيد بما يحدث بعده وقبله من الحركة.
- يحدث الحرف إما بإطلاق الهواء وإما بحبسه، (والحبس المقصود هو الذي لا يتلوه رفع العضو، وليس الحبس الناتج عن وضع العضو بالضرورة في كل حرف، وفي جميع أحواله).
- لا يمكن أن يُنطق بحرف متحرك وحده في سياق الكلام، فلا بد أن يكون متلوا بحرف متحرك أو ساكن، فعملية "الإدراج" تقتضي أن تتهيأ الأعضاء في أثناء الحركة للنطق بحرف آخر.
- لا يمكن أن يُنطق بحرف ساكن وحده، كما يتعذر الابتداء بالساكن[53].

49 . المرجع السابق، ص 179.
50 . المرجع نفسه، ص 179 – 192.
51 . عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 20.
5252 . عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص183، 191.
53 . حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص 85.

- لا يلتقي ساكنان لأنه يتعذر أن يتعاقب حبسان، أي حبس بعد حبس آخر.
- الحركة كحرف أي كمصوت لا استقلال لها.
- الحركة كمصوت فقط لا يمكن أن تحدث إلا بعد الحرف.

4 – 3 – أسطورة اللغة النموذجية المشتركة:

من بين القضايا التي أثارها نفر من المستشرقين، قياسا على الوضع اللغوي اليوناني[54]، وتَبَنَّاها بعض الباحثين العرب، اعتقادهم أن اللغة النموذجية التي خطب بها الخطباء، وشعر بها الشعراء، ونزل بها القرآن، لم تكن لغة تخاطب للناس في حياتهم العامة، ولم تكن سليقة يتكلمونها دون شعور بخصائصها[55]. فقد حملوا الفصحى القديمة على الفصحى الحديثة، وأسقطوا الوضع اللغوي العربي الحديث على الوضع اللغوي القديم، وزعموا أن لغة أو لغات التخاطب شيء، واللغة المشتركة الأدبية، أو النموذجية، أو القديمة، أو المبكرة، كما أُطلق عليها، شيء آخر، أي لغة مشتركة أدبية تقابلها لغات تخاطب مختلفة بين قبيلة وأخرى (بالتعبير الراهن لهجات إقليمية). وقد ترتبت عن هذا الطرح أفكار أخرى أكثر خطورة فحواها: أن المدونة اللغوية التي استقريت منها القواعد ناقصة وغير تمثيلية وفيها تحيز كبير[56]، وأن النحاة العرب درسوا لهجات عربية متعددة ومتباينة ليستخرجوا منها نظاما نحويا واحدا[57]. وهذه الفكرة، في منظور الحاج صالح، غريبة عن العرب، ولا سبيل إلى العثور عليها في أي كتاب من كتب اللغة أو النحو القديمة، ولم تتم الإشارة لدى التراثيين إلى وجود لغة عربية منفصلة عمَّا سموه باللغات[58].

54 . عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص 189، الحاشية39.
55 . عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص 185 – 197.
56 . يرى الحاج صالح أن التسوية بين الوضع اليوناني والوضع العربي مجرد افتراض، ولا يوجد أي دليل يثبت وجود لهجات عربية مختلفة كاختلاف اللهجات اليونانية. انظر، عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر 2007، ص 148.
57 . إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1995، ص43.
58 . ديفيد جستيس، محاسن العربية في المرآة الغربية أو دلالة الشكل في العربية في ضوء اللغات الأوروبية، تر: حمزة المزيني، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض 2005، ص18. وانظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص174.

واللافت للنظر في رد الحاج صالح على هذا التوهم، هو طبيعة الأدلة النقلية والعقلية التي قدمها لدحض هذه الأسطورة[59]، فقد لاحظ أن هناك تخليطا واضحا لدى هؤلاء المدَّعين بين ما كان يُقصد من لفظة "لغة" عند القدماء والمحدثين، وقد أدى تطور مدلولها شيئا فشيئا إلى ما يدل عليه مفهوم "اللسان" في اللسانيات الحديثة، والتسوية بين المدلولين، كما أدت التسوية بينها (أي لفظة لغة) وبين مفهوم "اللهجة" (Dialecte) الأوربية، التي فُهمت خطأ[60] في مرحلة ما من تطور دلالتها (كلسان محلي، لا أداءً خاصًا بعنصر من بعض عناصر اللغة)، أدى إلى التداخل، وكان أحد أسباب التخليط في زماننا[61].

فـــــ"لغة" في كلام سيبويه والنحاة الأوائل هي: " كيفية خاصة في استعمال العرب، أو جماعة منهم، لعنصر خاص من عناصر العربية" "Variant" ليس إلا، أي كيفية التأدية أو طريقة الكلام التي انفرد بها بعض العرب عموما[62]. وقد نصت العرب على اختلاف في الأصوات، وفي صيغ الكلمة أو مدلولها، وفي بعض التراكيب، نحو: (نَستعين/ نِستعين)، (مَعَكم/ مَعْكم)، (مُستهزؤون/ مستهزون)، (صاعقة/ صاقعة)، (الصقر/ السقر)، (أما زيد/ وأيْما زيد)، (هذا البقر/ هذه البقر)، (ما زيدٌ قائمٌ/ ما زيدًا قائمًا)...إلخ. ولم يصرحوا أبدا أن هذا التنوع يشكل كيانا لغويا منفصلا (أي نظاما لغويا مستقلا بذاته)[63]. هذا الذي أطلق عليه بعضهم ومنهم "ديفيد جستيس" (David Justice) الاضطراب المتخفي في الآثار المتنوعة للغات المحلية، وقد استطاعت قوة المعيار أن تستأصلها في الأشكال اللغوية المكتوبة[64]. وأما اللهجة فهي نظام لغوي كامل، أو لسان

59 . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب 1994، ص 14– 15.
60 . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 14.وانظر: إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص34 - 41.
61 . عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص 147.
62 . المرجع نفسه، ص 147.
63. من السمات المركزية المتجذرة في ثقافة المستعمر مسمى "اللهجة"، وهي تنبع من أيديولوجية عنصرية في أساسها، تقوم على الفكرة التالية: نحن أمة لها لغة والآخر أو "هم" قبائل لها لهجات، وهذه طريقة من الطرق التي يميز بها نفسه عن المجموعة التي يسيطر عليها. لمزيد من المعلومات انظر: روبير فليبسون، الهيمنة اللغوية، ترجمة سعد الحشاش، النشر العلمي، جامعة الملك سعود، الرياض 2007، ص 57 – 58.
64 . عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص154 – 159.

محلي أو قبلي، أي اللسان الإقليمي بالتعبير الحديث[65]، لا ميزة لَهَجِيَّة أو تنوع أدائي معين.

ويتساءل الحاج صالح، أَيُعقل أن لا يتفطن القدماء إلى لغةِ تخاطب مشتركة نموذجية مغايرة للغة القرآن والشعر، وفيهم من فيهم من أهل العلم والبيان والفصاحة، كابن جني وعبد القاهر والجاحظ...إذ يستحيل عقلا أن يكون العلماء القدامى قد سكتوا كلهم عن هذا! ثم ما الفائدة من السكوت؟ ولماذا؟! وأقوى دليل لديه على وحدة اللغة العربية في ذلك الزمان، أن كل بناء نحوي وُجد في القرآن والشعر له ما يماثله غالبا في الكلام العادي[66]. بالإضافة إلى ذلك لاحظ الحاج صالح أنه لا يوجد في "الكتاب" أيُّ تفضيل للهجة على أخرى، أما تفضيل استعمال لغوي على استعمال آخر لدى سيبويه وشيوخه وتلاميذه فمرده إلى الخفة وكثرة دورانه في أفواه العرب الفصحاء[67]. وأما ما قلَّ استعماله من اللغة، أي "الغريب" فهو ما "لم يدُر في أفواه العامة كما دار في أفواه الخاصة...وليس كل العرب يعرفون اللغة كلَّها، غريبها و واضحها ومستعملها وشاذها، بل هم في ذلك طبقات يتفاضلون فيها...وأما اللغة الواضحة المستعملة سوى الشاذ والنادر، فهم فيها شرع واحد"[68]. يتشابه فيها كل الذين ينتمون إلى الجماعة اللغوية الواحدة.

هذه أشتات متفرقات من النقد اللساني، تم استقراؤه من عديد المؤلفات، وهو قليل من كثير، لا يسع المقام لذكره تفصيلا، والإلمام بموضوعه يحتاج في اعتقادي إلى أطروحة مستقلة بذاتها، وليس من السهل فصله عن المتن؛ فهو مزيج من التأليف والوصف والشرح والتعليق والنقد ونقد النقد. ولمزيد من التمثيل، تعمدنا أن نختم النقد اللساني عند عبد الرحمن الحاج صالح بنماذج مُسْتَلَّة من كتابه الأخير "البنى النحوية العربية".

65 . المرجع نفسه، ص 154.
66 . المرجع السابق، ص 160.
67 . ديفيد جستيس، محاسن العربية في المرآة الغربية أو دلالة الشكل في العربية في ضوء اللغات الأوروبية، ص19.
68 . عبد الرحمن الحاج صالح، السماع العلمي اللغوي عند العرب، ص 156.

5 – "البنى النحوية العربية"، لماذا؟[69]

أسباب عديدة دفعتنا إلى اختيار كتاب "البنى النحوية العربية" للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، لعل أبرزها:

أولا - أنه آخر كتاب ألفه الشيخ قبل وفاته، فهو الحلقة الرابعة في سلسلة الدراسات بعد "السماع اللّغوي العلمي عند العرب" ثم "منطق العرب في علوم اللسان" ثم "الخطاب والتخاطب ونظرية الوضع والاستعمال". ولا ندري مصير الحلقة الأخيرة لهذه السلسلة التي أعلن أنه سيخصصها للصوتيات العربية من الخليل إلى العصر الحديث[70].

ثانيا - أن موضوعات الكتاب كما يصرح المؤلف علمية محضة، تتعلق بالنحو العلمي ولا تصلح بأي حال من الأحوال للتعليم اللغوي[71].

ثالثا – الإجابة عن السؤال الذي يطرحه بعضهم: هل يعد الحاج صالح لسانيا أم نحويا؟ إن مضمون الكتاب يعكس نحويا بامتياز، ولكن شتان بين بضاعته وبضاعة أغلب النحاة! بين بضاعة فيها روح الحداثة، وبين بضاعة تفوح بالجفاف والجمود! وأما منهج الكتاب وأدوات التحليل التي استثمرها في إجراء المقارنات فتفصح عن لساني بامتياز، وكل لساني نحوي في نظرنا وليس العكس.

رابعا- طبيعة المنظومة الاصطلاحية التي تم استثمارها في بناء نظرية النظرية (Métathéorie)، وتوظيفها في إجراء المقارنات وتحليل الأبنية النحوية بين لسانيات التراث وبين علوم اللسان الحديث؛ فقد وجدنا لها حضورا في مؤلفاته الأخرى وبخاصة كتابه الموسوم "بمنطق العرب في علوم اللسان"، ولكن ليس بهذه الكثافة، جاء عرضها في الكتاب على شكل ثنائيات لغوية، وأحيانا ضدية نحو: (الوضع/ الاستعمال)، (الأصل/ الفرع)، (الانفصال/ الابتداء)، (الإفراد/ التركيب)، (البنية/ الوظيفة)، (قسمة التركيب/ قسمة المواقع)، (العامل/ المعمول/)، (العلاقات الأفقية/

69 . المرجع نفسه، ص 183.
70 . زجاجي، الإيضاح في علل النحو، تح مازن المبارك، دار النفائس، ط5، بيروت1986، ص92.
71 . عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر 2016.

العلاقات العمودية)، (الصورة/ المثال)، (القياس/ التكافؤ)، (اللفظة الاسمية/ اللفظة الفعلية)، (المهمل/ المستعمل)، بالإضافة إلى: الحمل، والنظير، والبناء، والجملة، والرتبة، والصيغة، والموضع، والعلة، والصدارة، والعلامة العدمية، والمادة الأصلية، ونظام اللغة، وظواهر اللغة، والصفات المميزة...إلخ. وكل هذه المصطلحات مفاهيم أساسية في بناء "نظرية النظرية" التي فضَّل الحاج صالح أن يطلق عليها "البنى النحوية العربية" محاكاة لتشومسكي رغم وجود بديل سابق عُرف به في الكتابة اللسانية العربية هو "المدرسة الخليلية" ثم "النظرية الخليلية" بعد ذلك!

خامسا - والكتاب ليس مجرد عرض لقواعد اللغة العربية كما وصلتنا من القدماء، بل هو عمل علمي تأسس على النظر في اللغة كظواهر، والنظر فيها كنظام، وصفاً وتصنيفاً وتفسيرًا، وعرضها على شكل مخططات، ورسوم بيانية، وتشجير مكثف، لم نعهد له مثيل في المؤلفات السابقة. والهدف من ذلك كله هو الكشف عن تصور النحاة القدامى الشامل لنظام العربية والأسس التي بُنِي عليها، وما أنتجوه من جهاز مفاهيمي لم يدرك بعض من جاء بعدهم أبعاده[72].

سادسا - والأهم من الأسباب السابقة كلها، أننا نجد عنوانه يتناص ربما عن قصد مع كتاب أحدث انقلابات ثورية في تاريخ علوم اللسان البشري هو: "البنى النحوية Syntactic structure " لتشومسكي، والفرق الوحيد بين العنوانين: أن البنى النحوية لتشومسكي عام، في حين قيَّد أو خصَّص الحاج صالح "البنى النحوية" بلفظة "العربية". وفي الكتاب نعثر على عديد المقارنات بين أفكار الخليل وأتباعه وبين بعض أفكار سوسير وتشومسكي، وأستاذه هاريس، وأستاذ أستاذه بلومفيلد، وبخاصة في الخاتمة[73]، التي لاحظنا أنها تضمنت عنوانا صريحا يتعلق بـــالمقارنات؛ "مقارنة ختامية موجزة بين ما جاء به العلماء العرب وبعض مذاهب

72 . المرجع نفسه، ص 3، 316.
73 . المرجع نفسه، ص 3.

اللسانيات"[74]. فمنهج الكتاب تأسس أصلا على فكرة المقارنة بين ما جاء به العلماء العرب، وبين ما هو رائج الآن في علوم اللسان الحديثة[75]. وسنقدم للقارئ الكريم فيما يأتي بعض الأمثلة على ذلك:

5 – 1 – الفرق بين مصطلح "بنية" العربي وبين مصطلح "Structure":

يحذر عبد الرحمن الحاج صالح معشر الباحثين من التخليط بين المفهوم العربي وبين ما يمكن أن يقابله في علوم اللسان الحديثة، فالتصور العربي لمفهوم البنية لا يتطابق مع تصور اللسانيين البنيويين لمفهوم (Structure)، فهما شيآن مختلفان تماما في منظوره، ووجه الخلاف بينهما أن الكلمة الأجنبية تشير في الأساس إلى الاختلاف الحاصل في الصفات الذاتية المميزة للوحدات التي تتم في المستويات التي فوق الوحدات الصوتية، وسوسير نفسه أبو البنيوية لا يسميها بنية بل نظاما. والأصل في الخطأ الذي وقع فيه هؤلاء البنيويون سببه في اعتقاد الحاج صالح تغليب النظرة الفلسفية على النظرة العلمية التي جعلت سوسير يفرط في الاهتمام بالاختلاف، وينظر إلى اللغة كلها على أنها نظام من الاختلافات[76]. أما التصور العربي لمفهوم "البنية" فهو ناتج عن التركيب، ويقصد بالبنية النحوية هيكل كل جملة، وأيضا الصيغة[77] " أي الهيئة الافتراضية[78] التي يمكن أن تكون عليها الأسماء والأفعال القابلة للصياغة فقط[79]. أما "البناء" فمدلوله أخص من البنية والصيغة، ويعني النحاة به كمصدر: التركيب والتأليف لعدد من العناصر الذي يترتب عنه إنشاء وحدة جديدة على صيغة معينة. والمراد بـــ "بناء" الكلمة في تحديد "الرضي الأستراباذي" هو:

74 . المرجع السابق، ص 17.

75 . انظر المقدمة والخاتمة، فقد ورد فيهما ذكر لأعلام اللسانيات الغربية لا سيما تشومسكي وأستاذه هاريس أكثر من مرة، ومن الرواد الذين ذكرهم أيضا: سوسور، وبلومفيلد، وكينيث بايك، وبواس وسابير، وتنيار، وجان كانيوبان، ومارتيني...إلخ.

76 . المرجع نفسه، ص 314.

77 . المرجع نفسه، ص 6.

78 . المرجع السابق، ص 20.

79 . من أبرز الخصائص المتحققة في الفضاء اللغوي العربي والتي يمكن للعربية أن تفخر بها فخرا خاصا كما يقول بعض الغربيين هو الارتباط بين الوزن أو التركيب الصرفي والمعنى أو الدلالة. انظر: ديفيد جستيس، محاسن العربية في المرآة الغربية أو دلالة الشكل في العربية في ضوء اللغات الأوروبية،ص14.

"وزنها وصيغتها وهيئتها التي يمكن أن يشاركها فيها غيرها، وهي عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة وسكونها على اعتبار الحروف الزائدة والأصلية كل في موضعه"[80]. وواضح من خلال هذا التحديد أن نظام اللغة عند العلماء العرب مبني على التباين في البنية من جهة، إلا أنهم لا يجعلون منه أساس الانتظام اللغوي، وعلى التكافؤ فيها من جهة أخرى وحمل الشيء على نظيره[81].

5 – 2 – التوليد عند تشومسكي والتفريع بالتحويل عند العرب:

يرى عبد الرحمن الحاج صالح أن توليد تشومسكي هو "مُنوئيد" (أحادي المثال) في اصطلاح الرياضيات، والتفريع بالتحويل عند العرب هو زمرة مبنية على التحويل، وبالتالي التناظر. والفرق بينهما: أن التوليد على الطريقة الغربية هو مجموعة لا تتجاوز المنوئيد، لأنها كالحد بالجنس والفصل والاستدلال بالقياس الأرسطي لا تتصف بالتناظر، إذ التقسيم إلى أجزاء أو تحليل الجنس إلى أفراده، أو اندراجها تحته لا يناظره شيء كما هو الحال في المنوئيد. أما عمليات التوليد أو التفريع العربي بالتحويل، القائمة على الزيادة والتركيب هي مجموعة من التحويلات التي تستوفي شروط الزمرة في الرياضيات، وردُّ الشيء إلى أصله أو التحويل المعكوس هو نوع من الأنواع كما يذهب إلى ذلك علماء العرب.

وليصلح تشومسكي النقصان الفادح الذي يمتاز به التحليل إلى مكونات قريبة لجأ، كما لاحظ الحاج صالح، إلى مفهوم التحويل، غير أنه لم يبين بالمخططات والتشجير كيف يتم ذلك؟ (أي التحويل) كما فعل بالنسبة للتوليد الذي سَهُل على تشومسكي تمثيله بالتشجير، على اعتباره المخطط الأمثل لتصنيف المكونات المباشرة. وفي المقابل يمثل الحاج صالح للتفريع العربي بالتقابل التناظري (Bijection) بين مجموعتين كما يفعل النحاة مثلا عند تحويلهم الجملة المبنية للمعلوم ومقابلتها بالمبنية للمجهول. وفي

8080 . إبراهيم الشمسان، مداخلات لغوية (1) مسائل لغوية، ط1، الرياض2015، ص 153.
81 . المرجع نفسه، ص 9.

معادلة بسيطة نستنتج أن: (التوليد العربي = زمرة) أما (المنوئيد = زمرة – صفة التناظر)[82].

5 – 3 – نظرية الموضع:

يتساءل الحاج صالح في مقدمة الكتاب قائلا: "ما هو "الموضع" الذي يكاد يأتي في كل صفحة من صفحات كتاب سيبويه؟[83] تُعد فكرة الموضع أو المواضع أو المواقع، كما يطلق عليها بعض من جاء بعد سيبويه، القلب النابض للنظرية النحوية العربية[84]، ومن يدرك فحواها يفهم الأبعاد العلمية لنظرية العامل النحوي. وعين الموضع كما استنبطه الدكتور الحاج صالح من أقوال الرماني والمبرد وابن جني وأبي علي الفارسي... يشير إلى[85]: موقع الوحدات أو العناصر اللغوية في تسلسل الكلام ومحيط خاص، حيث تتوالى على ترتيب وهيئة معينة، وبتعبير آخر: الحيز المكاني أو المواقع التي يمكن أن يشغلها كل واحد من العناصر اللغوية، أو فئة العناصر أو الوحدات التي يمكن أن تحتل الموقع نفسه. فبعض العناصر قابل للوقوع موقع عناصر أخرى من نفس الجنس، وتأدية ما تؤديه، وبعضها غير قابل، ولو وضعتها موضع فئة ليست من نفس القبيل لم يجز. وما يسميه الرماني بقسمة المواقع يطلق عليه في اللغات الأجنبية (Distribution)، وهو، كما يقر المؤلف، مفهوم منهجي لجأ إليه "بلومفيلد" لاستخراج الوحدات الدالة الصغرى بطريقة موضوعية، وإثبات هويتها وتصنيفها. "ومن خصائص هذه المواقع، عند العرب، أن اللفظ الواحد قد يتغير مجراه بانتقاله من موضع إلى موضع آخر، فيصير بذلك فردا من جنس آخر".

وفكرة الموضع أساسية في التمييز بين المفاهيم النحوية، فهناك فرق بين الفاعل في اللفظ والفاعل في المعنى، وترتيب اللفظ في بناء الجملة هو الذي يحدد ذلك؛ ففي قولنا: "مررت برجل يقرأ، ورأيت رجلا يحَدِّثُ"

82 . المرجع نفسه، ص 10.
83 . المرجع نفسه، ص 11.
84 . لمزيد من المعلومات انظر عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، ص 270.
85 . المرجع نفسه، ص 18.

فرجل في كلا الجملتين هي الفاعل المعنوي ولكن الفاعل الصناعي أي اللفظي فيهما انطلاقا من ترتيب اللفظ هو الضمير المستتر "هو"، وترتيب اللفظ هو الذي يَعْتَدُّ به أهل هذه الصناعة، قال ابن جني: "الفاعل ليس المراد به أن يكون فاعلا في المعنى دون ترتيب اللفظ، وأن يكون اسما ذكرته بعد فعل وأسندته ونسبته إلى الفاعل كـــــ"قام زيد وقعد عمر"، ولو كان الفاعل الصناعي هو الفاعل المعنوي للزمك أن تقول: "مررت برجلٌ [هكذا بالرفع] يقرأ" فترفعه لأنه قد كان يفعل شيئا وهو القراءة، وأن تقول: "رأيت رجلٌ [هكذا بالرفع] يُحدِّثُ" فترفعه بحديثه، وأن تقول في رفع زيد من قولك: "زيد قام" أنه مرفوع بفعله لأنه الفاعل في المعنى"[86]. ويؤكد ابن جني هذه الفكرة بقول أبي علي الفارسي: "يجوز أيضا أن تُخرجه [أي اللفظ أو العنصر] من جنس إلى جنس آخر إذا أنت نقلته من موضعه إلى غيره". وواضح أن هذه الفكرة التراثية تتقاطع مع مبدأ من المبادئ التي أعلن عنها سوسير لاحقا في تحليله المشهور لثنائية المحورين: التركيبي في مقابل الاستبدالي عند نسيج النص وإنتاج الكلام.

وبعد المقارنة والتحليل لمدلول الموقع في الكلام كما ورد في اللسانيات الأمريكية (عند بلومفيلد وتلميذه كينيث بايك K.Pike) يستنتج الدكتور الحاج صالح أن للفظة "موضع" عند سيبويه مدلولا أوسع وأدق من مجرد الموقع المحسوس؛ فليس بالضرورة أن يكون الموضع موقعا محسوسا للوحدات اللغوية، فقد يكون موضعا في البنية (هيئة افتراضية) لا في تسلسل الكلام، ومحتوى الموقع قد يكون خاليا. فالموضع إذا "هو الفضاء الاعتباري الذي لا يظهر في درج الكلام إلا إذا دخلت فيه، وشغلته وحدة لغوية مهما كان محتوى الكلام المنطوق، وبشغلها لهذا الفضاء تكشف هذه الوحدة الملفوظة عن وجود الموضع في بنية من الكلام. وقد لا تدخل

86 . لمزيد من المعلومات حول نظرية المواضع انظر الأطروحة القيمة الموسومة بنظرية المواقع في النحو العربي، إعداد: د، علي المعيوفي، إشراف أ.د.إبراهيم الشمسان، نوقشت بقسم اللغة العربية، جامعة الملك سعود، سنة 2009.

فيه، ولا تظهر فيه أحيانا أخرى، ولهذا يضطر اللغوي إلى تقديرها لإظهار الموضع"[87].

6 – خاتمة:

من خلال هذه القراءة يتبين أن "النقد اللساني" بُعْدٌ واضح في أبحاث الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ودراساته، فحضوره هيمن على الكتابة اللسانية لديه، وقد بدا مزيجا من الوصف، والشرح، والتفسير، والنقد، ونقد النقد. وليس من السهل فصله عن المتن. انسحب نقده اللساني على التراث، وعلى ناقدي التراث من العرب والغربيين؛ فلا يوجد مفهوم لساني مقدس في أبحاثه؛ وكلها تتنزل عنده للفحص والتمحيص. وتكشف مراجعاته للمنجز اللساني العربي والغربي عن ناقد متبصر، يعكس نقده حقيقة المسعى العلمي المثمر لأفكاره وآرائه، ويفصح عن طبيعة قراءته الناقدة وما تتميز به من نظرة تجديدية، وتفتح ذهني، وروح استدلالية، وقدرة على استنباط الوجوه والفروق، واستخلاص النتائج، والتمييز بين الأصيل من المفاهيم والتصورات وبين المقلد، لدى أجيال متعاقبة من النحاة واللسانيين؛ يكشف لك عن وجه الأصالة في الأصيل، وعن وجه التقليد في المقلد: فأحيانا ينبه إلى التغيير والاختصار الذي أحدثه شراح "الكتاب" من المتقدمين. وأحيانا يُخَطِئ المتأخرين من النحاة، ويصف أعمالهم بالمدرسية، وأحيانا أخرى ينقد تعسف اللسانيين المحدثين من العرب والغربيين، مع إثبات العجز الإجرائي لمقولاتهم اللسانية بأساليب متنوعة، من سماتها اللغة العلمية المباشرة، والبصمة الأسلوبية المتميزة، التي تتخللها من حين إلى آخر رجة إنشائية لافتة[88]، لها بعد تأثيري إقناعي يهز القارئ، نحو قوله مثلا: "...والظعجيب في قول ابن سينا..."[89] ، "... والعجيب أنه قد ظهر في العشريات الأخيرة نظريات..."[90] ، "ابتلينا معشر

87 . عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، ص 61 – 68.

88 . انظر، ابن جني، المحتسب،(230/1) عن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، ص 141.

89 . عبد الرحمن حاج صالح، البنى النحوية العربية، ص68.

90 . نحو قوله: "ابتلينا معشر الباحثين العرب بـ..."، " ...ولسوء حظ الخليل ابن أحمد أنه يُعْرَفُ عند عامة الناس بأنه واضع علم العروض..."إلخ.

الباحثين العرب منذ أن قرر البلاغيون المتأخرون..."[91] ، "...تَوَهُّمَات النحاة بعد سيبويه..."[92] ، "...لا يوجد مثله في النظريات اللسانية الحديثة"، "وهذا الاهتمام لم يحصل إلا قديما في عهد سيبويه..."، "ويا حبذا لو درسوا في نفس الوقت نظريات علم اللسان الحديث..." إلخ[93]. ويتواتر في قراءته الناقدة حضور لعبارة "لم يدركوا" في أسيقة متنوعة، وبصيغ مختلفة كقوله: "لم يفهموا"، "لم يستنتجوا"، "لم ينتبهوا"، "لم يميزوا"، "خلطوا"...إلخ[94]. ومن الاستراتيجيات التي وظفها في "نقده اللساني"، حمل المفاهيم بعضها على بعض، على شكل ثنائيات لغوية متقاربة، أو متقابلة، أو متضادة، ونجاعة هذا النوع من العرض في عمليتي التوصيل والتأثير معلومة لدى علماء النفس، غير مجهولة لدى المربين.

هذا بُعْدٌ من الأبعاد البحثية عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، (تقبل الله جهوده في خدمة اللغة العربية)، فهو أستاذ من أساتذة الجيل، ورائد من رواد اللسانيات، نحوي لا يشبه النحاة! تراثي ليس كبقية التراثيين! حداثي ليس كأغلب الحداثيين![95] بوأته إحاطته العميقة بالنماذج النظرية اللسانية كي يكون كذلك، وهدته قراءاته المتواصلة إلى اكتشاف نظريات في علوم اللسان العربي لا سيما عند الخليل وأتباعه. وقد سعى طيلة مسيرته العلمية إلى تمثل أفكارهم، وهضم مادتهم، وتحويلها بعد ذلك إلى نظرية حديثة مكافئة، إن لم نقل متجاوزة، للنظريات اللسانية الغربية.

لقد وُفق الحاج صالح في تحديد معالم نظرية النحاة العرب، وجمع أصولها، واجتهد في صياغة نظرية النظرية منها، رغم غموض أساليب القدماء، وصعوبة لغتهم العلمية، وضبابية الإطار النظري الذي تشكلت فيه مقولاتهم اللسانية، ثم رحل عنا وفي نفسه شيء منها (من نظرية النظرية)، ولا ندري! من الباحث الموهوب الذي سيحظى بشرف الإضافة إليها،

91 . عبد الرحمن الحاج صالح، دراسات في اللسانيات العربية، ج1، 171، 176.
92. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 187.
93 . عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، ص 5، 6، 17، 20، 306.
94 . المرجع نفسه، ص 17.
95 . هدم لا يقابله بناء لساني، فباسم اللسانيات تصادر نظرية العامل لعدم وجودها في الدراسات البنيوية.

فيدرك النظام أو العلاقات[96] التي تجمع أشتاتها، وربما يهتدي إلى صياغة تحمل مزيدا من الوضوح، والشمول، والتماسك، والاقتصاد. وكل هذه الصفات من خصائص العلم المضبوط[97].

96 . لأن العلم كما يقول الحاج صالح: "لا يبلغ غايته، ولا تتحقق أهدافه إلا إذا انتقل من ملاحظة الأشياء في ذاتها، إلى ملاحظة العلاقات والنسب القائمة بينها"، فاكتشاف العلاقات بين العناصر والظواهر هو أكبر اكتشاف يمكن أن يحصل عليه الباحث. انظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، عنصر "مفهوم العلم في نظرية المعرفة الحديثة" ص22 – 26.

97 . تمام حسان، الأصول، دراسة أبستمولوجيا لأصول الفكر اللغوي العربي، دار الثقافة، الدار البيضاء1991، ص 13 – 19.

المصادر والمراجع:

- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ط9، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1995.
- من أسرار اللغة، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1978.
- إبراهيم الشمسان، مداخلات لغوية (1) مسائل لغوية، ط1، الرياض2015.
- إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1959.
- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب1994.
- الأصول، دراسة أبستمولوجيا لأصول الفكر اللغوي العربي، دار الثقافة، الدار البيضاء1991.
- حافظ إسماعيلي علوي، د، وليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة، أسئلة اللسانيات، مطابع الدار العربية للعلوم، ط1، بيروت 2009.
- ابن جني، الخصائص، تح عبد الحكيم بن محمد،ج1، المكتبة التوفيقية، (د.ت).
- ديفيد جستيس، محاسن العربية في المرآة الغربية أو دلالة الشكل في العربية في ضوء اللغات الأوروبية، تر: حمزة المزيني، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض2005.
- روبير فليبسون، الهيمنة اللغوية، ترجمة سعد الحشاش، النشر العلمي، جامعة الملك سعود، الرياض 2007.
- الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تح مازن المبارك، دار النفائس، ط5، بيروت1986.
- عبد الرحمن الحاج صالح، المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، وقائع تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، ط1، دار الفكر الإسلامي، المغرب 1987.

- السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، منشورات المجمع الجزائري2007.
- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، 2، منشورات المجمع الجزائري 2007.
- بحوث ودراسات في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر 2007.
- منطق العرب في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر2010.
- الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، منشورات المجمع الجزائري 2012.
- البنى النحوية العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر2016.
- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات العربية، نماذج للحصيلة ونماذج للآفاق، وقائع تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، دار الغرب الإسلامي، الرباط 1987.
- اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية، منشورات عويدات، بيروت1986.
- عز الدين مجدوب، المنوال النحوي العربي: قراءة لسانية جديدة، دار محمد علي الحامي، ط1، تونس1998.
- محمد الشاوش، تركيبية النص، العلاقات النسقية بين الجمل، رسالة دكتوراه دولة مخطوطة، إشراف د. عبد القادر المهيري. تم طبعها تحت عنوان: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية- تأسيس نحو النص.
- محمد صاري، محاولات تيسير تعليم النحو قديما وحديثا، دراسة في ضوء علم تدريس اللغات، أطروحة دكتوراه مخطوطة، إشراف الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح.

- قراءة في الكتابة اللسانية العربية الحديثة، مجلة اللغة العربية وآدابها، المجلد 4، العدد 4، جامعة مؤتة، الأردن، تشرين الأول 2008.
- موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تر: بوزيد صحراوي وآخرين، دار القصبة، الجزائر 2004.
- Abderrahman Hadj-Salah, Linguistique Arabe Et Linguistique Générale, essai de méthodologie et d épistémologie du ilm-arabia ; Tome 1,2 , publication de l'académie algérienne de la langue arabe,2011.
- G. Mounin : Clefs pour la linguistique, Paris, Seghers 1968